

ذكريات ايام زمان

صليوا عبا - بغديدا

في العقدين الرابع والخامس من القرن الماضي (القرن العشرين) ونحن اطفال كنا نتحلق حول الآباء والأجداد ونصغي الى احاديثهم بشوق. وكثير من تلك الأحاديث غدت اليوم ذكريات جميلة.

كانت الاحاديث تلك تدور حول مواضيع حياتية شتى تعبر عن همومهم واهتماماتهم، عن معاناتهم الاقتصادية وعن مقارعتهم للظلم والاضطهاد والقتول والتهجير عن الحروب والمجاعات والابوة، وعن الظواهر الصعبة ومنها الكارثية... الخ.

والهرب الى كرمليس وبرطلى لحين تدارك الموقف وتسليم الجناة الذين تم اعدامهم في البيادر رمياً بالرصاص.

واخرون يحكون عن من فقد اخاه أو اباه بداء الطاعون (زوعا) الذي كان يتفشى بين الناس بشكل مرعب.

واخرون كانوا يحكون كيف كانوا يقصدون الارحية المائية في قرية (ترجلة) رجالاً ونساءً لطحن حبوبهم مشياً على الاقدام أو بواسطة الدواب وكان هناك من يقصد الرحي بعربات صغيرة خشبية تجرها الثيران أو البغال وقرية ترجلة تبعد عن قرية قوش حوالي ثمانية كيلومترات كما كانوا يروون

واحداث الحرب العالمية الاولى (سفر بر، سفر بلك) كانت تأخذ مركز الصدارة في احاديثهم يحكون كيف كان العسكر (الجندرمة) ينهبون البيوت ويأخذونا كل ما تقع عليهم ايديهم من مؤن واثاث وحيوانات... الخ

ومن طرائف ما سمعن عنهم حكاية الصبية القرية قوشيين الذين سرقوا بعض من عائدات الجيش التركي أثناء تفهقر امام الجيش الانكليزي. وكيف طوقت قرية قوش وثبتت المدافع لقصفها انتقاماً لهذه العملية ثم أجبروا الكهنة على دفع الفدية والإستقصاف القرية فأضطر السكان الى ترك القرية

كيف دخلت السيارة لأول مرة الى بغداد حيث دخل بعض ضباط الانكليز القرية ووقفوا بجانب كنيسة سركيس وباكوس وخرج الناس ليشاهدوا عربانه من غير حصن وهم مندهشون من شكلها وصوتها. وصغار يخافون فيبتعدون منها ظنا منهم انها ستفجر بوجوههم، كما يحكون كيف كان احدهم يتفاخر بأنه تسابق مع زملاء له في الحصاد وحرافته لمساحة كذا فدان حتى شروق الشمس.

وفي منزلنا القديم كانت تجتمع النساء المسنات عصراً منتظرات قرع ناقوس الكنيسة عصراً لصلاة المساء (الرمش) وتحت إبط كل واحدة منهنّ (جاروكتها (السوداء) التي كانت تضعها فوق رأسها عند دخولها الكنيسة ولا تنزعها حتى نهاية الصلاة والنسوة حين تجتمعن كنا يروين مجريات حياة أهلها منذ سنة ١٩٠٠ وما تلاها من اخبار وأحداث وأمراض تصيب الاطفال كالحصبة وغيرها. وكيف كان اهل العريس والعروس يقصدون مدينة الموصل لشراء جهاز العرس بواسطة الحيوانات أو سيراً على الاقدام وعند وصولهم الى الجسر الذي كان مصنوعاً من مجموعة من الدوب مشدودة الى بعضها بالسلاسل الحديدية كان البعض منهم ينتابه الخوف وهو يعبر الجسر حيث كانت الدوب ترتفع وتنخفض، وفي الموصل ينزلون الخان في منطقة (باب الجسر) ويربطون حيواناتهم وبياتون ليلتهم

وفي اليوم الثاني يخرجون الى السوق لشراء ما يحتاجون من ملابس للعروس وأجهزة أخرى مثل الصندوق الخشبي ومصنوعات ذهبية وفضية. وفي حينها كان التعامل بالليرات الذهبية والروبيات. ومن اسواق المشهورة في الموصل قيصرية اليوزبكي القديمة والمدهشة بما تحتويه من انواع الاقمشة الفاخرة والبضائع النادرة الى درجة يحار المرء بما يشتريه. ومن انواع الاقمشة حين ذاك: الحاج حسن ودرج البوسطة والبستا، والدوق الانكليزي الاسود. وكان سعر الذراع الواحد من القماش يتراوح بين ٦-٨ فلوس.

وكان الصندوق الخشبي بلون البني الغامق مزخرفاً بالمعادن وكان سعره (٣٥٠) فلساً. أما اجرة الغرفة في الخان فكانت روبية (٧٥) فلساً.

ومن الطرائف انهم كانوا يسمون القطار (شمندفر) والدراجة الهوائية (سوس دبسمارا) أي الحصان الحديدي والباص الخشبي (طرمبيل).

روى لي صديق ونحن نقلب صفحات ذكرياتنا الطفولية فقال في احد الايام طلبت منه والدته أن ينظف الأسطبل من الروث، ووعده بأن تعمل له ولأصدقائه ابريق من الشاي في يوم الاحد القادم وفي اليوم الموعد طالبوها بعمل الشاي إلا أنها اعتذرت بسبب عدم استطاعتها شراء الشاي

يجمعون بيض القطا بزنبيل (قوبا) فكانوا يملؤون زنبيلاً بالبيض في أقل من ساعتين.

كانت اجرة السيارة الى الموصل في عقد الخمسينيات (٥٠) فلساً في الباص الخشبي وفي السيارة التورن ب(١٠٠) فلس. وكانت وجبة من الكباب الموصل الشهي ب(٤٠) فلساً مع كأس (٣) من شربت زبيب طبيعي وذلك في منطقة رأس الجسر في محل كباب (سيد بكر).

أما الكسبة من العمال فكانوا يأكلون في (دكة باب الطوب) ماعون دولما ب(٢٥) فلساً أو تشريب لحم رأس بنفس السعر أو يأكلون تكة (فشافيش) سعر الشيش (٤) فلوس مع الخبز من يد السيدة والسيدة حكومي.

أما الفواكه فكان سعر كيلو عنب (٥) فلوس والتفاح اللبناني الممتاز (٧٥) فلساً والرقي (٢٥) فلساً واحياناً كنا نشترى ما نحتاج من العنب أو الرقي بدون وزن (كوترا) ب (٥٠-٧٥) فلساً كمية كبيرة نتقاسمها بين اثنين او ثلاثة.

أما الخبز والدهن والجبن المكبوس والمؤونة وحتى اللحم فكنا نأخذها من البيت كل اسبوع أو اسبوعين أيضاً للتقليل من المصرف الشخصي.

واحياناً نشترى ذلك الخبز الفاخر وعليه الحبة السوداء، خبز تنور من الخبازين ب(١٠) فلوس في منطقة الميدان أو باب

والسكر كونها بحاجة ماسة الى المال لبناء غرفة وبيت تنور وفي احيان أخرى كانت الوالدة تكلفه بأعمال معينة وتكافؤه بقطعة نقدية فئة (٢) الفلسين التي كانت تحمل صورة الملك فيصل الاول إلا أنه قال لسوء حظي وضعتها في جيب الدشداشة وكان مثقوباً فسقطت مني وحرمت من شراء الحلوة. وحين علم والده ضربه على رقبتة بحذائه (جروختا) كادت تقصم رقبتة وحرمه من الدخول الى البيت كل ذلك من اجل الفلسين.

أما بالنسبة الى الاسعار في ذلك الزمان فمثلا كان سعر قماش الدشداشة من نوع الممتاز (١١٠) مائة وعشرة فلوس وسعر الخام الابيض (٥٠) خمسون فلساً أما الاقمشة النسائية الجديدة فكان سعر الذراع يتراوح بين (٢٠٠-٤٠٠) فلس وكان سعر كيلو شكر (٥٠) خمسون فلساً أما سكر القند (الكلا) (٧٥) فلساً وسعر وقية الشاي (٦٠) فلساً. وكان الصيادون في بغدادا يبيعون طير القطا المسلوق ب (عانة) (٤) فلوس. وكان سعر حقة اللحم اكثر من (كيلوين) (٢٥٠) فلساً. أما سعر الخروف فكان (٧٥٠) فلساً أما البقرة فلم يكن يتجاوز سعرها (٥) خمسة دنائير. وأذكر أن والدي اشترى ثلاث بقرات بمبلغ (١٦) ديناراً وكان ذلك لغرض التسمين والبيع وخاصة قبل الميلاد حيث كانت تذبج الربائط. وكان سعر البيضة عانة (٤فلوس) وكان الناس يخرجون الى الحقول

